

## أثر السنة النبوية في توجيه العلوم التربوية والاجتماعية

الأستاذ الدكتور: حسن رمضان فحلة

كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية

### مقدمة:

الحمد لله رب العالمين الذي له ما في السماوات والأرض وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على خير مرب عرفته البشرية حتى اليوم محمد بن عبد الله الذي أرسله الله عز وجل ليبلغ الناس ما نزل عليه من السماء، فيتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب وما أنعم الله عليه من الحكمة والهدى والتزبية القويمة القيمة، قال الله تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ الجمعة: 2-4.

جاءت السنة النبوية، توضح وتبين ما جاء في القرآن الكريم لقوله تبارك وتعالى: ﴿وأترلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ النحل: 44. وفيها بيان تشريعات وأداب أخرى سواء كانت مستنبطة من القرآن الكريم، أو بما يراه من المعاملات والأخلاق التي تستقيم عليها حياة الناس، فكان عليه الصلاة والسلام مربيا عظيما فذا.

ووضع النبي ﷺ أركان التربية النبوية شاملة لكل حياة الإنسان، وكل أسباب هذه الحياة "وأقام حياة الإنسان على محور تولدني... على أن الإنسان كل يتألف من أجزاء لا بد أن تأخذ قسطا من العناية وأن تتوازي فالروح والجسد والعقل والنفس... الخ، كل هذا له قيمته في الإسلام، وكل جزء له وظيفته التي يقوم بها، لا يجوز للجزء الآخر أن يطغى عليها".<sup>1</sup>

وكان عليه الصلاة والسلام يراعي حاجات الطفولة، وطبيعتها، مهتماً بالفروق الفردية فيما بين الأطفال مع الاستفادة من مواهبهم واستعداداتهم وطبائعهم. وفي الوقت نفسه انصب اهتمامه على ما عند الشباب من غرائز وميول ليقمها على الواقعية والمثالية خشية الانحراف والضلال، كما أنه اهتم ببقية عناصر المجتمع المرأة والرجل على حد سواء، وعلاقة كل منهم بالله والإسلام والنفس والحياة والكون.

وبذلك جعلت السنة النبوية الإنسان مدار العملية التربوية من المهد إلى اللحد. مقدمة المنهج التربوي المتمم بالتكامل والشمولية والواقعية والمثالية: من أجل ترقية الروح والنفس، والجسد وما ينجم عن ذلك من علاقات اجتماعية وإنسانية، فكان النبي ﷺ يدعو الناس إلى الإيمان ويحثهم على تطبيق شريعة الله عز وجل، لتكميل فطرتهم، وتهذيب نفوسهم شيئاً فشيئاً، وتوحيد نوازعهم وقلوبهم، وتوجيه طاقاتهم وحسن استغلالها للخير والسمو: طاقات العقل، وطاقات الجسم، وطاقات الروح، لتعمل معا وتتجاوب للهدف الأسمى، وبذلك يسمو الفرد وينهض المجتمع<sup>2</sup>.

أجل: إنها السنة النبوية التي فيها الهدى والخير، والرأفة والرحمة، والحفظ والرعاية، وتسخير القطرة وتسييرها إلى الهدف النبيل والمقصد السامي القويم. فكان منها جيل قوي بالإيمان والعمل الصالح، والعبادة والطاعة، والبناء والتشييد، على هدى من الله تعالى ورسوله ﷺ.

وقد أمر الله تعالى بطاعة النبي ﷺ ولتباع سنته، فقال تعالى: ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ الحشر: 7 حتى أن طاعة الرسول مقرونة بطاعة الله عز وجل: ﴿وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾ آل عمران: 132 وحث على الاستجابة لما يدعو، فقال سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ الأنفال: 34. وفي الوقت نفسه حذر من مخالفة

أثر السنة النبوية في توجيه العلوم التربوية  
 أمره فقال عز وجل: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضللا مبينا﴾  
 الأحزاب: 36.

من هذا كله لا بد لكل واحد من المسلمين من الرجوع إلى سنة النبي ﷺ في أمور الإيمان والإسلام والمعاملات والأخلاق، وأخذ ما الناس بحاجة إليه من أمور التربية والتعليم، وتوجيه العلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية وهذا ما حدث عليه في قوله: تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي<sup>3</sup>. وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى<sup>4</sup> قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى؟ قال: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى<sup>4</sup> واستجاب الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان، إلى رسول الله ﷺ فبلغوا العلم عنه إلى من بعدهم، فكانوا روادا في العلم والحضارة الإنسانية، حيث إنهم أبدعوا في مجال التربية الروحية إيماننا وبقينا، وفي مجال التربية العلمية في علوم الطب والكيمياء والجبر والصيدلة والزراعة والطبيعة، والتشريح والضوء، والجغرافيا وغيرها... حين كان الغرب يعيش ظلام القرون الوسطى<sup>3</sup>.

إلا أنه جاءت حقبة من الزمن ابتعد فيها المسلمون عن القرآن والسنة وتبعوا المبادئ والنظريات والمناهج الغربية التي أخذ أهلها بتثقيتها في الحياة، وإقصاء وجهة النظر الإسلامية ونسويها وإثارة الشكوك فيها وكان من نتيجة هذه السياسة أن وجدت في العالم الإسلامي الشخصية المتناقضة في الفكر والسلوك حتى أصبح الجيل المسلم ركابا من التناقضات، ونبيا للعديد من الأفكار، وأصبح غارقا في محيط النظريات والأراء، وأضحى لا لون له ولا ميزة<sup>6</sup>.

وجاءت التربية الحديثة التي هي ثمرة من نظريات التعلم والتعليم الغربية، ومن الفكر الغربي الداعي للمدنية الغربية التي تقوم على أساس فصل الدين عن الحياة، وهذا يدل دلالة واضحة أن هذه النظريات والمبادئ والأفكار لا تمت إلى

الإسلام بصلة مطلقاً، كما أنها تتنافى مع العقيدة الإسلامية وما يتصل بها من معارف، وما ينبثق عنها من تعاليم وقيم.

يقول أستاذنا الدكتور 'مصطفى السباعي' -رحمه الله تعالى- فنحن في عصر اضطربت فيه النظم العالمية المتعددة، وعجزت عن إيجاد السلام والرخاء لشعوب العالم، ومهما يكن في قادة الأمم المسيطرة من عيوب أنت إلى هذا الاضطراب، فإن الذي لا ريب فيه عندنا أن الأسباب المباشرة لشقاء العالم هي تلك النظم التي لم تثبت حتى الآن صلاحها لحل مشاكل الإنسانية على وجه يريحها من الحروب والمنازعات، ويبعدها عن جو القلق الذي تعيش به في أعقاب الحروب العالمية الدامية، بعد أن كانت تعيش خلال الحروب في جو قائم من النماء والدمار والخراب<sup>7</sup>.

إذن: فالأمة خاصة، والعالم الإسلامي عامة بحاجة إلى البحث عن السبيل والوسائل والطرائق لضبط السلوك، وتوجيه العلوم نحو العلم والمعرفة والتربية الهادفة الرشيدة، وسبيل ذلك مصادر التشريع الإسلامي التي فتحت أمام العالم آفاقاً ومجالات للعلم والمعرفة التي كان لها الفضل في بناء الحضارة الإنسانية المتكاملة التي ما تزال معالمها بارزة في كل ميدان من ميادين العلوم التربوية والتطبيقية والاجتماعية والإنسانية، فإن وفقنا في حمل مشعلها الوضاء أعدنا للحياة السعيدة مكانها بين المسلمين وغيرهم.

'ومصادر التشريع الإسلامي معروفة لدى المسلمين موثوقة محفوظة، ولا شك في أن السنة المطهرة، وهي ثمانية هذه المصادر، أوسعها فروعاً، وأحفظها نظاماً، وأرحبها صدراً، إذ كان كتاب الله الكريم متضمناً للقواعد العامة في التشريع وللأحكام الكلية في الغالب، مما جعله خالداً خلود الحق، بيد أن السنة الكريمة عنيت بشرح هذه القواعد، وثبتت تلك النظم، وتفريع الجزئيات على الكليات، مما يعرفه كل من درس لسنة دراسة وافية، ومن ثم لم يكن للمشرعين من علماء الإسلام



**أثر السنة النبوية في توجيه العلوم التربوية**  
مندوحة من الاعتماد على السنة، واللجوء إليها والعناية بها والاسترشاد بأحكامها المنصوصة على أحكام الحوادث الطارئة<sup>8</sup>.

من أجل ذلك جاء هذا البحث ليبين دور التربية النبوية وأثارها في توجيه العلوم من خلال ما تهدف إليه إلى تنشئة الأجيال الحاضرة والقادمة على قيم الإسلام وتعاليمه التي لم تكن بالنظر إلى ضبط السلوك الإنساني وتوجيهه كما جاء في نظريات التعلم الغربية.

وسيقصر البحث على ما في السنة النبوية من مبادئ وأهداف، وطرائق وغايات تدعم بعضها البعض في تشكيل السلوك وتوجيهه وضبطه، فجاء في ثلاثة مطالب هي:

**المطلب الأول: ضبط السلوك وتوجيهه بين نظريات التعلم والسنة النبوية.**

**المطلب الثاني: خصائص التربية الإسلامية (النبوية) وأهدافها.**

**المطلب الثالث: ميادين التربية النبوية وطرائقها.**

**المطلب الأول: ضبط السلوك وتوجيهه بين نظريات التعلم والسنة النبوية**

تحتاج دراسة الأسس والوسائل التي يتوصل بها الإنسان إلى عملية التعلم من معرفة المصطلحات الآتية:

**أولاً/ العلم<sup>9</sup>:** هو جمع المعرفة والمعلومات حول ظاهرة ما بطرق موضوعية تقوم على الملاحظة العلمية والتجريب، بهدف تفسيرها والتنبؤ بها وضبطها. فالعلم هو بمثابة مجموعة من المعارف تعتمد في تحصيلها على منهج علمي موضوعي ويهدف إلى تحقيق ثلاثة أهداف هي:

**الفهم:** ويتمثل في محاولة تفسير الظواهر وتحديد أسبابها الحقيقية والعوامل المؤثرة فيها.

**التنبؤ:** ويعني توقع حدوث الظاهرة في ضوء بروز بعض المؤشرات الدالة

عليها مثل أسبابها أو عواملها.

**الضبط:** ويشير إلى إمكانية التحكم بالظاهرة وتوجيهها من خلال التحكم

بأسبابها وعواملها.

**ثانياً/ التعلم، مفهومه وخصائصه وأهميته**<sup>10</sup>: التعلم سمة وقدرة يتميز بها

الكائن البشري عن كافة المخلوقات الأخرى، فهو يشتمل على الأنماط السلوكية البسيطة والمعقدة منها، وينتجى في مظاهر سلوكية متعددة عقلية واجتماعية وانفعالية ولغوية وحركية، تتمثل في التغير في الأنماط السلوكية وفي الخبرات، ويستدل عليها من خلال السلوك الخارجي القابل للملاحظة والقياس.

إذن: عرف علماء النفس التعلم بدلالة السلوك الخارجي نتيجة:

- الخبرة (كروناخ: 1977).

- النشاط أو التدريب أو الملاحظة (كلوزماير).

- الخبرة الناجحة (كلين: 1978).

وعرفه آخرون بدلالة القدرات أو العمليات المعرفية (بياجيه) أو تغير في قابليات الأفراد التي تمكنهم من القيام بأداء معين (جانية) أو التغير في التبصر والسلوك والأداء والدافعية أو مجموعة منها (بيجي).

فالتعليم هو: "العملية الحيوية الديناميكية التي نتجلى في جميع التغيرات الثابتة نسبياً في الأنماط السلوكية والعمليات المعرفية التي تحدث لدى الأفراد نتيجة لتفاعلهم مع البيئة المادية والاجتماعية".

ونظراً لأهميته في حياة الأفراد والمجتمعات، فقد نال اهتماماً من العديد من الفلاسفة والمفكرين منذ القدم حيث قدموا لذلك تفسيرات مختلفة لهذه العملية فمنهم من اعتبره بمنشأ فطري (أفلاطون) وآخرون بمنشأ بيئي (أرسطو).

إلا أن ما جاء به أولئك الفلاسفة وعلماء النفس لم يكونوا السابقين المبدعين بل سبقتهم السنة النبوية إلى ذلك، بدليل قول النبي ﷺ: كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه<sup>11</sup>. فهذا الحديث يشمل على المنشأ الفطري، فالولد منذ خلقته مقطور على التوحيد الخالص، والدين القيم والإيمان بالله تعالى. قال تعالى: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾.

كما يشمل على المنشأ البيئي حيث يبدأ التعلم بمسؤولية الوالدين على تنشئة الأولاد على عقيدة الإيمان والإسلام، فهذه هي التربية المنزلية.

وقال عليه الصلاة والسلام: مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل حامل المسك، وناقخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك (يعطيك) أو تشتري منه، أو تجد منه ريحا طيبة، وناقخ الكير إما أن يحرق ثيابك، أو تجد منه ريحا منتنة<sup>12</sup> كما حذر من قرين السوء فعنه ﷺ فيما رواه ابن عساکر: "إياك وقرين السوء فإنك به تعرف"، وفي ذلك صورة أخرى من السنة النبوية المؤكدة على أثر المنشأ البيئي في التربية والتعلم.

ومن الجدير بالذكر أن الاهتمام بموضوع التعلم لا يقتصر على المجالات التربوية فحسب، بل يتعدى ذلك ليشمل كافة المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

### ومن خصائص التعلم:

- 1- هو عملية تتطوي على اكتساب سلوك أو خبرة أو التخلي عنها أو تعديلها.
- 2- وهو عملية تحدث نتيجة لتفاعل الفرد مع البيئة ماديا واجتماعيا.
- 3- وهو عملية لا ترتبط بزمان أو مكان محدد، فهي تبدأ منذ الولادة وتستمر طيلة حياة الإنسان غير مرتبطة بوقت من الأوقات، ولا بمكان محدد كمؤسسة تربوية معينة، فالبيئات التعليمية متعددة ومتنوعة.

4- وهو عملية تراكمية تدريجية من جراء تفاعل الفرد مع المثيرات والمواقف المتعددة.

5- وهو عملية شاملة لكافة السلوكات والخبرات المرغوبة وغير المرغوبة.

6- وهو عملية قد تكون مقصودة أو غير مقصودة فتحدث على نحو تلقائي.

7- وهو عملية مرتبطة بجميع المتغيرات الثابتة نسبيا بفعل عوامل الخبرة والتدريب.

8- وهو عملية متعددة المظاهر لأنها تتضمن كافة التغيرات السلوكية في المظاهر العقلية والانفعالية والاجتماعية والحركية والغوية والأخلاقية.

وبهذا يكتسب الفرد العادات والقيم وقواعد السلوك العام، وفي الوقت نفسه يطور ما لديه من وسائل وأساليب<sup>13</sup>.

ولهذا قام العلماء والدارسون ببيان طبيعة التعلم ومعرفة آلياته والوقوف على الشروط المؤثرة فيه إيجابا وسلبا وراء الوصول إلى قوانينه الخاصة. وقد انقسموا حيال دراسة مظاهره إلى اتجاهات وتيارات تبلورت على شكل ما يعرف باسم نظريات التعلم.

وفيما يلي تعريف بالنظرية:

#### مفهوم النظرية<sup>14</sup>:

نظرا لفروع العلوم المختلفة فقد تنوعت النظريات التي تقدم تفسيرات وتوضيحات للظواهر والأحداث التي نتناولها، وتتباين النظريات باختلاف الهدف منها كالنظريات الوصفية أو التحليلية، أو المعيارية أو العلمية...

والنظرية بالمفهوم العام: هي مجموعة من القواعد والقوانين التي ترتبط بظاهرة ما بحيث ينتج عن هذه القوانين مجموعة من المفاهيم والافتراضات والعمليات التي يتصل بعضها ببعض لتؤلف نظرة منظمة ومكاملة حول تلك



الظاهرة، ويمكن أن تستخدم في تفسيرها والتنبؤ بها في المواقف المختلفة<sup>15</sup>.  
وللتظيرية عدد من الخصائص هي:

1- هي وسيلة وغاية في الوقت نفسه.

2- هي مسألة نسبية حيث لا توجد نظرية مطلقة.

3- تحدد قيمتها من خلال الاختبار العملي لا البرهان الجدلي وذلك من حيث:  
الأهمية والدقة والوضوح والبساطة والنفعية والصدق التجريبي.

4- يبدو الهدف الأساسي للنظرية في توليد المعرفة ممثلاً في صياغة القوانين  
والمبادئ العلمية الثابتة القابلة للتطبيق العلمي.

### نظريات التعلم:

عكف العلماء على دراسة نظريات التعلم فظهرت عديدة ومختلفة من حيث  
نظرتها لجوهره والشروط الخاصة به، فقسموها إلى زمريتين رئيسيتين هما:

### الترباطية والمعرفية:

**أولاً- الترباطية القديمة:** لدراسة التعلم تاريخ طويل ابتداء من تصور

(أرسطو) للتعلم، بأنه عملية ربط أو اقتران، والفكرة الرئيسية عنده هي أن المعرفة  
والعقل يتكونان من احساسات إنسانية تتشابه معا عن طريق الترابط، ولا تتوافر  
لدى الكائنات أي معرفة فطرية فهي تولد وعقولها بيضاء تخط عليها البيئة  
ما نشاء، ويتم وفقاً لقوانين الربط أو الاقتران أو التجاور الزماني أو المكاني.

**ثانياً- الترباطية الجديدة:** المثير والاستجابة: ترى نظرية المثير

والاستجابة أن السلوك يتكون أساساً من المثيرات والاستجابات، وأن التعلم هو  
عملية الربط بين المثيرات والاستجابات، بحيث إذا ظهر المثير الذي ارتبط  
بإستجابة معينة مرة أخرى فإن الإستجابة التي ارتبطت به سوف تظهر هي

الأخرى، كتعلم الطفل اللغة عن طريق تكوين ارتباطات بين الألفاظ والأشياء التي ترمز لها هذه الألفاظ.

وترى هذه النظرية أن الارتباطات هي الوحدات الأساسية والأولية للسلوك وأن السلوك المتعلم ما هو إلا مجموعة أو تنظيم معين من الارتباطات. ولهذه النظرية بضعة اتجاهات تتعاون من حيث القيمة التي تطرح للعوامل المسؤولة عن أحداث عملية الربط، وهذه الاتجاهات تتمثل في نظرية بافلوف عن الفعل المنعكس الشرطي، والنظرية السلوكية القديمة والجديدة.

**ثالثاً- المعرفية:** وهي التي تهتم بالعمليات التي تحدث داخل الفرد مثل: التفكير والتخطيط واتخاذ القرارات والتوقعات أكثر من الاهتمام بالمظاهر الخارجية للسلوك، وتضم الجشطالتيه (التعلم بالاستبصار) ونظرية النمو المعرفي "سياجيه" التي يطلق عليها اسم "النظرية البنائية" التي انصب اهتمام منظرها على مسألتين هما:

- 1- كيف يدرك الطفل هذا العالم والطريقة التي يفكر من خلالها بهذا العالم؟
  - 2- كيف يتغير إدراك الطفل وتفكيره بهذا العالم من مرحلة عمرية إلى مرحلة أخرى وكل ذلك يرتبط بعدد من العوامل هي: (النضج، التفاعل مع العالم المادي، التفاعل مع العالم الاجتماعي، عملية التوازن التي تأخذ دوراً هاماً في النمو العقلي).
- ولدى مقارنة النظريتين (البنائية والسلوكية) يتبين أن كليهما يتمتع بتطبيقات جيدة في التربية، مما دفع السيكولوجيين والتربويين في تطوير وتحسين التعلم، وسوف يقتصر هذا البحث في الاطلاع على أهم مبادئ النظرية السلوكية الإجرائية (لسكزر) لما لها من تأثير كبير في النظرية السلوكية للتدريس من حيث النظر إلى أهداف التعليم والخبرات وطرائق التدريس من نواح مختلفة، وهذه النظرية تهتم بالسلوك الظاهر للمتعلم، وبذلك يتجلى دور المعلم في تهيئة بيئة التعلم لتشجيع الطلاب لتعلم السلوك المرغوب.

وسنرى عند دراسة التربية النبوية أنها تأخذ بما جاءت به هذه النظرية فيما يتعلق بالسلوك إلى جانب ما نظرت إليه النظرية البنائية حيث تهيئ بيئة التعلم لتجعل الطالب يبني معرفته<sup>16</sup>.

### المبادئ الأساسية لنظرية سنكر (التعلم الشرطي الإجرائي)

اهتم سنكر بدراسة الظاهرة السلوكية من خلال دراسة السلوك نفسه ووجهه عاقبته للعلاقة بين المثيرات والاستجابات، وهو ينتمي إلى مدرسة ثور نديك فهو ربطى مثله، ويهتم بالتعزيز كعامل أساسي في عملية التعلم.

<sup>17</sup> ولذلك تحدثت مفاهيم سنكر بحدود الملاحظات المباشرة بحيث تعطي وصفا للوقائع كما تحدث، وللملاحظات المشاهدة، ولا تستمد معناها من مجالات أخرى لا ترتبط بها، فالعلم عنده من هذه الملاحظات، ويهدف إلى الكشف عن العلاقات التي ترتبط بين الوقائع المشاهدة ليخرج عنها بوصف بسيط مناسب أو بقاعدة أو قانون يفسر الوقائع أو الظاهرة موضوع الدراسة.

وهو عن هذا الطريق ينهج المنهج العلمي الوصفي الذي تسير وفقا له العلوم الطبيعية والتي حققت معظم نتائجها وقوانينها من خلاله<sup>17</sup>.

ويرى أن تشكيل سلوك المتعلم يتم وفق خطوات ثلاث<sup>18</sup> هي:

أ- تحديد العناصر السلوكية السليمة وغير السليمة بوضوح وبطريقة إجرائية خاضعة للملاحظة والقياس.

ب- تحديد المعززات الفعالة في معالجة مواقف التعلم المشابهة أو مواقف تعديل التعلم.

ج- توظيف الأساليب والقواعد التي تضمن لكل تلميذ أن يحصل على التعزيز المناسب حين يظهر تقدما في أداء السلوك المراد تشكيله أو تعديله.

ويبين أن التعزيز نوعان: تعزيز إيجابي وتعزيز سلبي، وهو ما أطلق عليه

بالمثيرات البعدية التعزيزية والمثيرات البعدية العقابية<sup>18</sup>.

**فالتعزيز الإيجابي:** يقوّي وينبّث سلوك المتعلم، ويكون في عدة أنواع:

**مادية:** تتمثل بالطعام والحلوى والمكافآت النقدية.

**اجتماعية:** وتتمثل في المديح والإطراء والشاء والابتناسمة و...

**رمزية:** وتتمثل في العلاقات والرموز والصور والقصص وشهادات التقدير.

**والتعزيز السلبي:** وهو ما يؤدي إلى الكف عن السلوك غير المرغوب فيه

ويتمثل عادة في العقاب كالزجر أو التوبيخ، حيث تكون مادية واجتماعية ورمزية

وهناك بدائل عن العقاب يرى بعضهم أنها تعني عن العقاب، وقد تغني عن الثواب

ويرى البعض الآخر أنها لا تغني عن العقاب، ولكنها تخفف من استخدامه أو

وقوعه، وذلك عن طريق منعها أو تقليلها لدواعيه، وهي تضم الأساليب التالية:

- التساهل أو طريقة الحزية، فهي توفر الجهد المبذول في الإشراف

والمراقبة وتطبيق القوانين.

- القبالة وهي إحدى طرق تعديل السلوك دون الظهور بمظهر من يمارس التحكم.

- الإرشاد بمعنى البسطة أي توجيه سلوك الطفل كالعناية بالنبذة الصغيرة.

- الاعتماد عن الأشياء، فيمكن للطفل أن يتعلم عن الأشياء، من الأشياء نفسها.

- الاعتراف بالمسؤولية الاجتماعية شرطاً ضرورياً للتحسن في التربية الأخلاقية

لأنها نتيجة تفاعل الفرد مع بيئته الاجتماعية.

ونكر طائفة أخرى من البدائل أهمها مراعاة الفروق الفردية، واعتام

الفرص، والترويح، والتدرج في التوجيه. وهذه الطائفة هي التي اهتمت بها التربية

النبوية.

وهذه التقنية في تعديل السلوك يمكن تطبيقها على كل من المعلم والمتعلم

على حد سواء، لكل مشكلات التعلم في الفصل الدراسي. حيث تكلم فيما بعد عن

التعليم الذاتي المفيد في تحسين العملية التعليمية وتقديمها.



**أثر السنة النبوية في توجيه العلوم التربوية**  
ويؤكد الباحث في هذا المقام على مكانة السنة النبوية (التربية النبوية) وأهميتها في ضبط السلوك وتوجيهه.

### الثواب والعقاب في التربية النبوية:

قطر الله عز وجل الإنسان على الرغبة في اللذة والنعيم والرفاهية وحسن البقاء، والرغبة من الألم والشقاء وسوء المصير، والكائنات الحية - تقريبا - تتعد عما يؤذيها حال شعورها به، وتقبل على ما يلدها ويحقق استمرار الحياة لها أو إخسائها.

وميز الله تعالى الإنسان بالقدرة على التعلم والاعتبار والتفكير لما بعد الفترة التي يعيشها، والعمل والتحضير للمستقبل، والتمييز من الضار والنافع والاختيار بينهما، أجلا حيناً آخر<sup>19</sup>. مثال ذلك الرغبة في الزواج منذ البلوغ، فالمجتمع كوالدين والأصدقاء والأقارب يترغبون الشاب بزواج هاتئ مستقر إن هو صير ونال الشهادات والقدرة على الكسب، كما يرهونونه من النتائج الوخيمة إن هو اقترب لذة غير مشروعة أو تسرع في زواج غير مناسب ولا ملائم. وينطبق على هذا المثل ربط الأفعال الأخرى كالطعام والأمر بالمعروف... الخ بالثواب والعقاب.

إن: كل عمل ليكون ناجحاً ينبغي ارتباطه بفكرة الثواب والعقاب والمنفعة والفائدة. وما قامت الشرائع والقوانين والأنظمة السماوية منها والوضعية إلا وكانت فكرة الثواب والعقاب عمادا أساسيا لها<sup>20</sup>. وذلك من أجل ضبط السلوك والترغيب في المتابعة.

والإنسان ما يزال يحتاج إلى ما يشوقه (تعزيز إيجابي) للقيام بما يطلب منه سواء أكان ذلك مما يعود عليه هو بالنفع مباشرة أم لا، كما أنه بحاجة إلى ما يعزز سلوكه واستجاباته، بغض النظر عن كون هذا المعزز أو ذلك الشوق ذاتيا أو خارجيا.

ثم إن المجتمع ما يزال بحاجة إلى ما يكف اليد التي تتعرض لمصلحته. والى ما يضمن له الأمن والاستقرار، الأمر الذي يوحي بأن الصواب قد يكمن في التوفيق بين الحوافز الذاتية والخارجية بحيث يدعم بعضهما بعضاً في ضبط السلوك، ثم في التوفيق قدر الإمكان بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع بحيث يخدم بعضهما بعضاً عدلاً وإحساناً<sup>21</sup>. فالفرد يثاب إذا أطاع وعمل صالحاً، ويعاقب إذا اعتدى وظلم.

وإذا كان سنكر بين خطوات تشكيل السلوك - كما ذكرنا سابقاً، فإننا نجد

أن سلوك الإنسان الاجتماعي في الإسلام مراقب من عدة نواح، أهمها:

- سلوكه بحد ذاته: مرغوب فيه أم لا؟

- طريقة سعيه لمصلحته: إيجابية أم سلبية؟

- نتيجة سلوكه: نجاح أم فشل؟

وبالتالي، ففكرة الثواب والعقاب أهمية كبيرة في ضبط السلوك وتوجيهه لما

في الثواب من أثر في الاستجابة المثابة سريانا إيجابيا، ولما في العقاب من حدود في تعديل السلوك، إلا أنه لا بد من أن يكون العقاب معتدلاً معقولاً خشية الوقوع في أخطاء. فأسلوب الترغيب والترهيب لا يمكن الاستغناء عنه في كل زمان ومكان. وهذا ما اتجه إليه المسلمون في التربية الإسلامية التي تتقوها عن الكتاب والسنة النبوية.

### وللترغيب والترهيب مميزات في السنة النبوية أجمعا:

1- الإقناع والبرهان: وعلى الأخص في تربية الإيمان وغرس العقيدة

الصحيحة في نفوس الأطفال، فيرغبون بالجنة ويرهبون من عذاب الله تعالى فيعطونهم ثمرة سلوكية في الحياة.

2- التصوير الفني الرائع لنعيم الجنة أو لعذاب جهنم بأسلوب واضح يفهمه الجميع: مثال ذلك قصة الشفاعة يوم القيامة وغيرها من القصص النبوية عن مواقف القيامة.

3- الاهتمام بتربية العواطف الربانية: كعاطفة الخوف من الله تعالى التي لها أثر كبير بالسلوك الإيجابي، في العبادات والمعاملات والأخلاق، وكذا عاطفة الرهبة والخشية والخشوع. لأن في العواطف قوى دافعة للسلوك، مغذية للطاقات البشرية بحيث تهيمن وتنظم وتسمو بالدوافع الغريزية عند المؤمن وبالإضافة إلى ذلك الميل إلى الجنة، والأمل والرجاء في رحمة الله تعالى وثوابه وهذا ما أخذ بين المؤمنين إلى المضي قدما في سبيل الله تعالى، كما فعل ذلك الصحابي الذي ألقى بالتمرات التي بين يديه وقال: يخ بخ، هل بيني وبين الجنة إلا أن أقاتل في سبيل الله؟ ومضى مجاهدا الأعداء حتى استشهد.

4- الموازنة بين ضبط الانفعالات والعواطف: حتى لا يطغى الخوف على الرجاء فيقنط المذنب من عفو الله تعالى، مع أن النهي عن اليأس والقنوط واضح في الشريعة الإسلامية، وحتى لا يطغى الفرح يزوال الشدة فينسى الإنسان عقاب الله تعالى وقنوته، فهذا يتطلب الأمر الموازنة بينهما. فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد<sup>22</sup> وتعرض فيما يأتي أهم بدائل العقاب في التربية النبوية:

#### أولا- مراعاة الفروق الفردية:

التناس على درجات في الفهم والوعي وحسن الإدراك ومعرفة المقصود من الكلام، فكل فرد من الأفراد يتميز عن غيره بصفات خلقية و خلقية ومدارك عقلية، وميول مزاجية، ولذا بات من الواجب على المربي والذاعية مراعاة كل فرد وفق ما يملك من صفات ليستفيد الجميع، دون أن يفسح المجال لوجود الطبقات في المجلس

الواحد الذي يؤدي إلى القشل تارة، وقد الثقة، وضياع النرس، وهذا يتطلب الأسلوب الصالح لجميع الأفراد، والتنوع في أساليب العرض<sup>23</sup>، كالطبيب بالنسبة للمرضى فإنه يعطي لكل واحد منهم العلاج المناسب لمرضه، ولا يعطي علاجاً واحداً للجميع، فإنه فعل ذلك سبب لهم الأضرار فكذلك الشيخ لو أشار على المريدين (التلاميذ) بنمط واحد من الرياضة (أو التعلم) أهلكهم وأمات قلوبهم، بل ينبغي أن ينظر في مرض المرید وفي حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله بنيتة من الرياضة، ويبني على ذلك رياضته أو تعليمه وتوجيهه<sup>24</sup>.

وقد وضع النبي ﷺ أصول هذا الاتجاد، فكان عليه الصلاة والسلام يخاطب الناس على قدر عقولهم، ويرعى الناس حسب قوة إدراكهم، ويرفق بالضعيف والجاهل والأعرابي، ويعطي كل فرد ما يناسبه من الأحكام والمواعظ والسيرورة العطرة ممنوعة بالأمثلة، حيث قال: نحن معشر الأنبياء أمرنا أن نحدث الناس على قدر عقولهم<sup>25</sup>.

وكان "علي" كرم الله وجهه يوصي العلماء بقوله: "حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟" وقد علق البخاري على ذلك بقوله أن في تلك دعوة لمراعاة مستوى فهم المتعلم فلا يعطى ما يصعب عليه استيعابه<sup>26</sup> ويروى عن ابن مسعود قوله: "ما حدثت قوما حديثاً قط لم تبلغه عقولهم إلا كان فتنة على بعضهم". وفي هذا تأكيد على ألا يلقى على المتعلم إلا ما يتأهل له، لأن ذلك يبند ذهنه ويفرق فهمه.

### ثانياً - التدرج والتنويع في التعليم:

أ- للتدرج صلة وثيقة بمراعاة الفروق الفردية، بدليل أن القرآن الكريم نزل منجماً، وكانت أحكام الشريعة تنزل على المسلمين بالتدرج، فكانت الفرائض تأتي متدرجة، والمحرمات تأتي درجة درجة، مثل تحريم الخمر، وعقوبة الزنى، وفرض الصلاة... قال تعالى: ﴿وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه



